

جامعة جيلالي لياس سيدي بلعباس

كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية

قسم العلوم الاجتماعية.

المقياس: الفرد و الثقافة. السنة الأولى علوم اجتماعية جذع مشترك. الأستاذ: سليمان سليمان.

المحاضرة الأولى:

مقدمة: عزيزي الطالب مرحبا بك في هذا المقياس الاستكشافي، و أتمنى أن تجد فيه ما يشبع نهمك و يروي ظمأك من العلم و المعرفة. عزي الطالب، يجب عليك من الآن فصاعدا و أنت قد وصلت إلى مرحلة التعليم الجامعي، أن تُرقيّ مداركك و تنمي ملكاتك بالمطالعة بأكثر من لغة واحدة على الأقل، ثم لا ترضى بالمتابعة السلبية لكل ما يُقال لك أو يُعرض عليك. يجب عليك في نظام ل.م.د. على وجه الخصوص أن تكون مساهما في إثارة المعارف و طرح الاستفسارات و الإشكالات بل و حتى الاعتراضات في جو من العقلانية و المسؤولية و الآداب. بهذا النشاط التفاعلي وحده يمكنك أن تؤسس مع مرور الوقت قاعدة صلبة من العلم و المعرفة. ثم تأكد أن أي علم من العلوم ما هو سوى مجموعة من المفاهيم و المصطلحات قد أُكْتُشِفَتْ العلاقات بينها. في هذا الإطار إذن يندرج مفهومي: الفرد و الثقافة. و عليه سنتناول في هذا المقياس محورين أساسيين: يتمثل الأول في مسائل تتعلق بمفهوم " الفرد " و يتمثل المحور الثاني في مسائل تتعلق بمفهوم " الثقافة ". و في نهايته سوف نحاول أن نستوضح العلاقة الممكنة بينهما.

1-تعريف الفرد:

- في اللغة:

من الناحية الاشتقاقية اللغوية فإن الفرد (Individu) هو الشيء غير القابل للانقسام. فالفرد بهذا المعنى، هو تلك الوحدة التي إذا ما قُسمت فقدت خصائصها و بالتالي هويتها و جوهرها. و بمعنى آخر، هو ذلك الوحدة الأولية (التي لا تقبل القسمة) و تدخل في تشكيل مجموعة أخرى أكبر. فإذا أردنا أن نمثل لذلك، أمكننا أن نشير إلى الخلية في جسم الكائن الحي. فالخلية وحدة لها كيان مستقل و هوية و جوهر، فهي في النهاية شيء قائم بذاته، فإذا أتينا نقسمها أفقدناها خصائص الخلية فلم تعد تسمى كذلك. مثال آخر:

فأي ذرة إذا ما قُسمت لم تعد قائمة باعتبارها كذلك، و إنما تتفكك إلى إلكترونيات و بروتونات و نوترونات و كواركات، لكن لا يمكن أن نسمي هذه الأجزاء ذرة بأي حال من الأحوال.

- في علم الاجتماع:

بحسب " Norbert Elias " فإن الفرد هو " الكائن البشري حينما يُؤخذ منعزلاً ". فالفرد هنا بهذا المعنى يكون هو الإنسان في حد ذاته مبتوت الصلة بالأفراد أو الكيانات الأخرى، أي عندما يُنظرُ إليه و يُهْتَمُّ به لذاته دون ارتباطاته الأسرية أو الجماعية أو المهنية..

إن الفرد في هذا السياق يكون بمثابة بناء أو تشكل تاريخي نجم أو نتج عن عملية أشمل تسمى " الفردانية " Individualisation".

في المجتمعات التقليدية، و بحسب الرؤية الخاصة ل " Ferdinand Tönnies "، فإن الفرد لا وجود له. بمعنى أن الإنسان في حد ذاته لا يُعبأ به و لا قيمة له، فالأهمية كلها موجهة إلى الجماعة سواء أكانت أسرة أو قبيلة أو إثنية.. و عليه فإن مفهوم الفرد يكون إذا منتجا للحدثة.

أما " Danilo Martuccelli " فيقول: " من أجل أن يكون الإنسان فردا وحب أن يجمع بين خاصيتين: السيادة على الذات و التمايز عن الآخرين ". أي أن الإنسان لا يبلغ مرتبة الفرد حتى يكون سيدا على نفسه. فالتجمعات التي تقدم مصالح الجماعة و لا يمكن للإنسان فيها أن يبرز آماله و طموحاته و رغباته و كفاءاته.. باعتباره كذلك، فهو غير جدير بأن يوصف بالفرد. كما هو الحال بالنسبة للإنسان الذي لم يتمكن من فك ارتباطاته بالغير، فإذا أراد أن يعرف بنفسه احتاج لغيره و كذلك إذا أبدع أو باع أو اشترى أو روح عن نفسه.. لزمه أخذ الإذن من غيره لا لشيء إلا لأنه قاصر بذاته و بمفرده.

في أحيان كثيرة يستعمل بعض السوسيولوجيين مفهوما بديلا عن الفرد و هو " الفاعل الاجتماعي ". و يقصد به الإنسان المؤثر في المجتمع، و عندما يستعمل بعض العلماء هذا المفهوم أمثال: Michel Crosiez, Raymond Boudon, Alain Touraine، فإنهم يؤكدون على أن السلوكيات الاجتماعية غير خاضعة للإكراه الاجتماعي بالضرورة، و أن الأفراد يملكون قدرا من هامش الحرية و المناورة.

تطبيق المحاضرة الأولى:

بعد أن تابعت ملخص هذه المحاضرة، يكون قد مرت بك بعض المفاهيم التي يجب الوقف عندها ملياً.
من تلك المفاهيم: التقليد و الحداثة.
السؤال: حدد مدلولات كل منهما ثم بين العلاقة بينهما وبين مفهوم الفرد. استعن بمراجع مناسبة
و بمواقع موثوقة من النيت.

المقياس: الفرد و الثقافة. السنة الأولى علوم اجتماعية جذع مشترك. الأستاذ: سليمان سليمان.

المحاضرة الثانية:

2- أنواع الأفراد من حيث طبيعة التفرد:

يحاول بعض العلماء التفرقة بين أشكال ثلاثة من الأفراد تبعا لميزات و مضامين جوهر الثقافة الفردية التي يعتنقها كل نوع. و قد يبدو غريبا- كما سيتضح لاحقا- إذ كيف تختلف عملية التفرد من شخص إلى آخر في الوقت الذي هي مجرد نتاج لظاهرة واحدة هي الحداثة؟

إن الإجابة على هكذا سؤال يتطلب وقتا و جهدا، غير أنه يمكننا أن نلخص ذلك بإيجاز فنقول إن الحداثة و إن كانت تتميز في جوهرها بميزات مشتركة إلا أنها قد تلونت بألوان ثقافية محلية و إقليمية مختلفة.. زيادة على ذلك فإن الحداثة كانت و ما زالت تُواجهُ إلى اليوم بمقاومات مستميتة و مستمرة من ثقافات فرعية تأبى الذوبان في عوامة الحداثة. من أجل هذا و غيره نجد في المجتمعات البشرية أشكالا من "الأفراد"، و من ذلك:

- الفرد المتفرد: (Individu individualisé)

الفرد المتفرد مصطلح قال به (François de Singly) من أجل أن يميز الفرد في مرحلة الحداثة الثانية (سؤال التطبيق). هذا النوع يتميز بتفرده أي أنه كائن قائم بذاته ليس بالضرورة أن يشبه غيره من الأفراد، فهو يتميز عن غيره في كفاءاته و ملكاته و آماله و مبادراته و كل خصائصه.. و إن حدث و تشابه مع أفراد آخرين، فلا يرجع ذلك إلى قهر اجتماعي أو سلطة جماعية مهيمنة على هؤلاء الأفراد تشكلهم على مقاسها الاجتماعي، و إنما مجرد الصدفة.. كما يتميز الفرد المتفرد بكونه غير قابل للاستبدال: إن الأشخاص في المجتمعات التقليدية يقومون بنفس الأدوار و يتميزون بنفس الخصائص على وجه التقريب. و عليه فإنه يمكننا أن نستعيض بشخص مكان آخر دون أن يحدث خلل كبير في الوظائف الاجتماعية.. ذلك لأن المجتمعات التقليدية تكاد تنعدم فيها ظاهرة التخصص، فإنسان تلك المجتمعات يبني بيته بيده و ينسج ثيابه و يطبخ نفسه بنفسه و إذا اندلعت حرب تحول إلى جندي مقاتل و هكذا.. فاستبدال شخص بأخر لا يترتب عليه كبير خلل إذ أن المهام متشابهة تقريبا.

بينما إنسان المجتمعات الحديثة يتميز على وجه العموم بالتخصص فالطبيب يحتاج إلى الفلاح و هذا الأخير يحتاج للمعلم و المعلم يحتاج للبناء و هكذا...

إن الفرد المتفرد يتميز بثورته ضد الانتماءات المهيمنة و المفروضة و يستमित في محاربتها و بالمقابل يلجأ إلى الانتماءات المختارة التي يرضاها لنفسه. كما تجب الإشارة إلى أن الفرد المتفرد قد ينتمي في الوقت ذاته إلى عدة دوائر اجتماعية مع عدم إمكانية قابليته للاستبدال، لأنه يتميز بالتخصص.

- الفرد بالإفراط: (Individu par excès)

يقول بهذا النوع من التفرد (Robert Castel) و يقصد به ذلك الفرد الذي تكون ذاته و نفسيته و رفاهية مركز اهتمامه. في الوقت ذاته يستهين أو ينتقد انتماءه للمجتمع. هذه الظاهرة عدّها كثير من المهتمين من ضمن انحرافات الإنسان الحداثي. إن ظاهرة الفرد بالإفراط تنسجم تماما مع الخطاب الاقتصادي الليبرالي المنتقد لمقتضيات الدولة الرفاه أو ما يسمى بدولة الرّعاية الاجتماعية (سؤال التطبيق)، كما تنسجم مع خطاب التسيير الإداري و الاقتصادي المرتكز على جودة الأداء الفردي.

- الفرد الافتراضي: (Individu par défaut)

الفرد الافتراضي يقول به (Robert Castel) أيضا، و يقصد به ذلك الشخص الذي ليس في وسعه أن يصير "فردا" بالمضمون الحداثي. و يرجع ذلك لإكراهات اقتصادية و اجتماعية تحد من خياراته و منها ضعف المداخيل و ظروف العمل و السكن المزرية و غياب الاعتراف و التفرقة العنصرية.. إن التفرد الافتراضي هو نتيجة ضعف التضامن الجماعي و تجذر اللامساواة في جميع المجالات.

تطبيق المحاضرة الثانية:

أنجز بحثا توضح فيه مفهومي: الحدائة الثانية و دولة الرفاه، ثم حدد علاقتهما بمفهوم الفرد.

جامعة جيلالي ليايس سيدي بلعباس

كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية

قسم العلوم الاجتماعية

المقياس: الفرد و الثقافة. السنة الأولى علوم اجتماعية جذع مشترك. الأستاذ: سليمان سليمان.

المحاضرة الثالثة:

3-التفرد و الفردانية (Individualisation/Individualisme) .

التفرد هو سيروية تاريخية صار بإمكان "الفرد" الحر و المستقل خلالها، أن يكتسب أهمية متصاعدة على مستوى الحياة الاجتماعية. إن انبثاق ظاهرة التفرد و مع مرور الوقت، قد سمح للأشخاص أن يتحرروا من سطوة الهيمنة الاجتماعية الكليانية، و يؤسسوا علاقاتهم انطلاقا من مؤهلاتهم وملكاتهم و أذواقهم الشخصية أكثر مما تُؤسس على الغايات الاجتماعية الشمولية حيث لا قيمة لمبادرة الأفراد باعتبارهم كذلك. من أجل ذلك فرق المهتمون بالشأن الاجتماعي بين ما صار يُسمى بالمجتمعات الشمولية (الكليانية) و المجتمعات الفردية (سؤال التطبيق).

بالنسبة ل(Ulrich Berk) فإن الحداثة الثانية المميّزة لأواخر القرن العشرين، تقود بالضرورة إلى مسار التفرد المخالف تماما للمراحل التاريخية السابقة مثل النهضة و بداية عصر التصنيع.. يحدث ذلك عندما يصير الإنسان ذاته هو محور و وحدة تشكيل الفضاء الاجتماعي، أي أن الفرد هو أساس المجتمع و ليس العكس. فوفق عملية التفرد هذه، يصبح الإنسان الفرد داخل الأسرة و خارجها صاحب مقوماته المعيشية بواسطة السوق، كما يصير هو الفاعل في عملية التخطيط و التنظيم لسيرته الذاتية.

أما الفردانية ففي الأساس هي نزعة أو تصور بمقتضاه يُعتر " الفرد " ذا أولوية مقارنة بالمجموعة أو المجتمع الكلي. لذا يُقَابِل المتخصصون عادة بين المجتمعات الكليانية و المجتمعات الفردية: ففي النمط الأول فالمجموعة هي المهيمنة على الفرد بمعنى أن المصالح الجماعية التي تمكن لبقاء و سيطرة الكل هي المعتمدة ولو كانت على حساب مصالح الفرد الواحد أو القلة منهم. بينما في النمط الثاني، فإن اهتمامات الأفراد هي المأخوذة بالاهتمام أولا. كما تُعد الفردانية من اللوازم الأساسية للحداثة، إذ لا يمكن تصور حداثة بدون حياة الأشخاص على استقلالهم إزاء مجتمعاتهم.

بحسب (Alexis de Tocqueville) فإن الفردانية هي شعور مفكر فيه أي عقلائي و سلمي يُمكن كل مواطن من أن ينعزل عن الكتلة الاجتماعية بنفسه وعائلته و أصدقائه، بحيث يشكل مجتمعا مصغرا لصالحه، و يغادر عن طيب نفس المجتمع الأكبر. و يرى آخرون أن الفردانية تقضي بأولوية مصالح و إرادة الأفراد على المصالح التقليدية للقانون الطبيعي.

و يعتبر (Louis Dumont) أن الفردانية مرتبطة بالديانة المسيحية، بحيث تبلورت هذه النزعة بسبب التوجه الإصلاحية الذي جاء به المذهب البروتستانتي على وجه الخصوص، ثم تأكدت مع عصر الأنوار. من جهة أخرى يرى اجتماعيون أن النزعة الفردانية تهدد و تناقض التماسك الاجتماعي و منهم كارل ماركس و أليكسيس دو طوكفيل، بينما يعارضهم في ذلك إميل دوركايم قائلا أن الفردانية هي النظام الوحيد للمعتقدات القادر على ضمان الوحدة الروحية للدولة. بهذا يُعد دوركايم معارضا للنزعة المحافظة التي تعتبر بأن الفردانية أكبر داء يصيب هذا العصر.

بالنسبة ل (Danilo Marticelli) فإن الفردانية نموذج لتصورات الحياة الاجتماعية، تجعل من الفرد ذاته القيمة المركزية للمجتمع و تحدد مصالحه و استقلاله ليكون ذلك كله من أساسات الروابط الاجتماعية الحديثة.

تطبيق المحاضرة الثالثة:

أنجز بحثا تبين فيه الفرق بين المجتمعات الكليانية و المجتمعات الفردية، مبرزا مكانة الإنسان في كليهما.

جامعة جيلالي لياس سيدي بلعباس

كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية

قسم العلوم الاجتماعية

المقياس: الفرد و الثقافة. السنة الأولى علوم اجتماعية جذع مشترك. الأستاذ: سليمان سليمان.

المحاضرة الرابعة:

4- أنواع الفردانية:

يجب أن تعلم عزيزي الطالب أن الحداثة التي عمت الغرب بعد أن استطاع أن يُحجم دور الكنيسة، قد أخذت أبعادا متعددة باحتوائها للإيديولوجيات و الفلسفات التي كانت سائدة و ضاربة بجذورها في التاريخ. لأجل ذلك كان من المنطقي أن تتأثر ظاهرة الفردانية بتلك التنوعات الفكرية و المذهبية، باعتبارها مظهرا سافرا لتلك الحداثة. و الحالة هذه، كان لزاما أن تتنوع مظاهر الفردانية تبعا لذلك كله، و في ما يأتي بيان لبعض تلك الأنواع:

- الفردانية المجردة:

حسب "François de Singly"، فإن الفردانية المجردة شكل من أشكال الفردانية العامة تنتمي للنمط الثقافي السائد إبان فترة عصر الأنوار. من خصائصها الأساسية "العالمية"، حيث تركز على الطابع المشترك للبشر المتمثل في الصفة الإنسانية، و على الحقوق الأساسية للمواطنين، باعتبارهم كائنات مجردة متعالية على خصوصياتهم الجنسية و الدينية و الأصل العرقي..

- الفردانية الواقعية:

بحسب "François de Singly" دائما، فإنها شكل من أشكال الفردانية المميز للحداثة الثانية، يؤكد على الطابع الخاص للأشخاص و الجماعات التي تطالب بالاعتراف بخصوصياتها الثقافية المختلفة داخل الفضاء العمومي.

- فردانية المواطنة:

يعود أصل هذا النوع من الفردانية إلى فترة الحداثة الأولى. و تركز فردانية المواطنة على العقل و العقلانية (سؤال التطبيق) من خلال سلوك التصرفات الحضارية و المشاركة السياسية و مركزة على الحقوق العالمية مثل الحقوق المدنية و الحقوق السياسية.

- الفردانية العلائقية:

هي فردانية انبثقت ضمن الحداثة الثانية، تعتمد على علاقات انتقائية أي اختيارية و تظهر في المحبة و الصداقة، فبمقتضى هذا النوع من الفردانية يُتاح للأشخاص انتقاء أصدقائهم و أحبائهم.. هذا النوع من الفردانية نقيض ما يسمى بالفردانية التنافسية.

- الفردانية التنافسية:

هي من مميزات الحداثة الثانية، تركز على الدعم الكلي للفرد في مواجهة الآخرين. و تَظْهَر جليا في المنافسة المستميتة في سوق الممتلكات و العمل، انطلاقا من التنافس المدرسي و الرياضي.

- الفردانية المنهجية:

الفردانية المنهجية توجه ابستمولوجي بمقتضاه تُدرس الظواهر الاجتماعية مؤسسة على تحليل السلوكيات الشخصية أي الفردية و على ما يمكن أن ينتج من تراكم تلك السلوكيات دون اعتبار أن المجتمع كائن حي مستقل و مفارق لطبيعة الأشخاص الذين يُكونونه.

تطبيق المحاضرة الرابعة:

ما المقصود بالعقلانية؟ و هل لها علاقة ما بالفردانية أو التفردن؟

جامعة جيلالي لياس سيدي بلعباس

كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية

قسم العلوم الاجتماعية

المقياس: الفرد و الثقافة. السنة الأولى علوم اجتماعية جذع مشترك. الأستاذ: سليمان سليمان.

المحاضرة الخامسة:

5- أبعاد ظاهرة التفردن في الغرب:

عزيزي الطالب يجب أن تعلم أن تجليات عملية تفردن الإنسان الأوربي خاصة و الغربي عامة لم تستثني جانبا اجتماعيا دون الآخر، بل كانت ظاهرة شاملة قد عمت كل النشاطات الاجتماعية. كما يجب أن تعلم أيضا أن هذه الظاهرة كانت هي بدورها تجري ضمن تحول جذري تاريخي أعم و أشمل يسمى الحداثة. نورد هذه المقدمة من أجل أن تعلم عزيزي الطالب أن دراسة الظواهر الاجتماعية منعزلة هي طريقة في واقع الأمر تعسفية، إذ أن الواقع الاجتماعي متداخل و معقد، غير أنه و لأسباب تعليمية نقبل ذلك التعسف المتمثل في تجزئة الواقع قصد تبسيطه و التمكن منه.. و بالعودة إلى ظاهرة التفردن يمكننا أن نرصد ثلاثة أبعاد اجتماعية عامة على الأقل قد تجلت فيها هذه الظاهرة بوضوح و تستحق البيان:

- التفردن السياسي:

لقد عرف الإنسان الأوربي تحولا عميقا على المستوى الحياة السياسية، إذ عانت الأجيال الأوربية المتعاقبة، منذ وصول رجال الدين إلى الحكم في نهاية القرن الرابع الميلادي و إلى غاية نهاية القرن الثامن عشر، معاناة مريرة. لقد كانت السمة الغالبة في تلك الفترة استفراد رجال الدين المتحالفين مع رجال الإقطاع على جميع مناحي الحياة .. فالكنيسة تستفيد من القوة الاقتصادية للإقطاع، بينما يستغل الإقطاعيون السلطة الروحية للكنيسة.. لكن و مع حلول عصر النهضة بدأ يتشكل تحالف جديد أفرزته ظروف معقدة، يتكون أساسا من البرجوازية الصاعدة و الأقتان و العلماء.. وقد استمر الصراع طويلا ليزول الحكم تدريجيا عن الكنيسة إلى الملوك ثم ليصير إلى الشعب -و لو نظريا على الأقل - بعد الثورة الفرنسية التي تعتبر تحولا سياسيا في عمق المجتمعات الغربية سنة 1789م و التي كانت مسبوقه - في الاتجاه ذاته - بالثورة الأمريكية سنة 1776م. بعد هذه الأحداث الجسام تمكن

الإنسان الغربي تدريجياً من الانتقال من إنسان تابع لا وزن له إلى فرد فاعل يساهم في الحياة السياسية بنشاط.. إنه بعبارة أخرى التفردن السياسي.

-التفردن الاقتصادي:

لقد مرت على الأجيال الغربية على غرار غيرها من الأجناس، أزمنة مثل الفترة العبودية التي كان فيها السيد يملك كل شيء، بينما العبد بالقابل لا يملك أي شيء بل لا يملك حتى نفسه، فهو في ظل هذا النظام لا يزيد عن كونه وسيلة من وسائل سيده يتصرف فيه كيف يشاء.. ثم حل بعد ذلك النظام الإقطاعي حيث صار ملاك الأراضي يتحكمون في إقطاعيات عقارية واسعة تعد مصدر الثروة الوحيد و تحول العبد في ظل هذا النظام إلى قن حيث يسعه أن يملكه الإقطاعي نصيباً من الأرض يستفيد منه لخاصة نفسه.. لكن و مع هذا ظل الإنسان في حكم هذا النظام مسلوب الحرية الاقتصادية..

مع مجيء الثورة الصناعية، ظهرت مصادر أخرى للثروة و الاستقلال الاقتصادي من أهمها العمل في المانيفاكنتورات (المصانع الأولى). فبداية من نهاية القرن الثامن عشر و خاصة مع بدايات القرن التاسع عشر تحول عامة عمال الأراضي (الأقنان) إلى عمال في المصانع في كبريات المدن الأوربية. نتج عن هذا التحول تحرر تدريجياً للشعوب الأوربية من الهيمنة الاقتصادية الإقطاعية، بحيث صار لكل إنسان ذمة مالية خاصة يتصرف فيها حسب مصالحه الشخصية.. إنه التفردن الاقتصادي بكلمة واحدة. (يتبع)

تطبيق المحاضرة الخامسة:

أكتب ثلاث فقرات توضح فيها دور الرأسمالية في انتشار ظاهرة التفردن في أوربا.

جامعة جيلالي ليايس سيدي بلعباس

كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية

قسم العلوم الاجتماعية

المقياس: الفرد و الثقافة. السنة الأولى علوم اجتماعية جذع مشترك. الأستاذ: سليمان سليمان.

المحاضرة السادسة:

- التفردن الديني:

بعد أن تمكنت الكنيسة من بسط نفوذها على الحياة العامة للشعوب الأوروبية فترة مستطيلة من الزمن استمرت من أواخر القرن الرابع الميلادي إلى غاية القرن الثامن عشر، عاش الإنسان الغربي عامة خلال جزء مهم منها تحت سطوة حكم المذهب الكاثوليكي الذي كان مقره في روما. وقد بلغ نفوذه في هذه الفترة مبلغا عظيما، حيث صارت الكنيسة تراقب الحياة العامة و الخاصة مراقبة دقيقة، بل بلغ أمر هيمنتها إلى حد تنصيب ملوك و عزل آخرين أو معاقبتهم..

كانت الكنيسة طيلة حكمها تقريبا قد اعتادت على جمع الأموال من جميع الأقطار الأوربية لثُجِّي إلى عاصمة المذهب الكاثوليكي روما. و مع بداية القرن السادس عشر بدأ يتبلور تدمر واضح من طريقة الجمع هذه و طريقة الإنفاق و من أشكال الابتزاز عموما، زيادة على الثراء الفاحش الذي كان يعيش فيه رجال الدين و من دار في فلكنهم. ففي سنة 1517م ظهرت شخصية استثنائية في ألمانيا حملت لواء المعارضة الواضحة لتسيير الشأن الديني في روما. يتعلق الأمر ب "مارتين لوثر" (1483-1546م)، الذي تحدى البابا لأول مرة و أعلن أن خلاص المسيحي (أي نجاته من العقاب) متعلق فقط بالإيمان بالله، أي أن هذه العلاقة الإيمانية تُسج بين الرب و العبد ولا دخل لرجال الدين البتة في ذلك الشأن.

ففي سنة 1517م كان لوثر قد أسس لتمرد مذهبي في ألمانيا احتجاجا على سلوكيات المذهب الكاثوليكي في روما المشوهة لسماحة و بساطة المسيحية، و قد سُمي هذا المذهب نسبة لهذا الاحتجاج "المذهب المسيحي

البروتستنتي" (أي احتجاج Protester)، رافضا تسليم الأموال إلى جباة الكنيسة. عندها ثارت ثائرة السلطة الدينية في إيطاليا و شعرت بأن سلطتها باتت معدودة الأيام.. إثر تجذر و انتشار هذا المذهب المسيحي الجديد، نشبت حروب أتت على الأخضر و اليابس في أوروبا، من أهمها حرب الثلاثين عاما التي اندلعت سنة 1618م لتنتهي عام 1648م سالت فيها الدماء أنهارا و قطعت فيها رؤوس ملوك... و انتهت باتفاقية "واستيفاليا" حيث تقرر في أهم بند من بنودها أن تكون الحرية الدينية لكل قومية تعتنق مع ملكها ما تشاء من المذهبين: الكاثوليكي أو البروتستنتي... هكذا أُقرت الحرية الدينية و صار الفرد بإمكانه أن يختار المذهب الذي يُشبعه روحيا.. و بكلمة واحدة فإن الإنسان الأوربي يكون قد تفردن دينيا.

تطبيق المحاضرة السادسة:

ما هي أهم الإصلاحات التي جاء بها "مارثن لوثر" للحد من نفوذ المذهب الكاثوليكي في أوروبا؟

جامعة جيلالي لياس سيدي بلعباس

كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية

قسم العلوم الاجتماعية

المقياس: الفرد و الثقافة. السنة الأولى علوم اجتماعية جذع مشترك. الأستاذ: سليمان سليمان.

المحاضرة السابعة:

بعد أن خصصنا المحاضرات السالفة للتعرف على مصطلحات الفرد و التفردن و الفردانية، تعالوا أعزائي الطلبة في عدد آخر من المحاضرات نلقي من خلاله إطلالة على مصطلح الثقافة و ما يتعلق بها قبل أن نعرض على موقع الإنسان المتفردن من هذا المصطلح الأخير.

1- نبذة تاريخية عن الثقافة:

إن لفظة " ثقافة " (Cultura) قد ظهرت في نهاية القرن الحادي عشر. حينها كانت تعني قطعة أرض مشغولة من أجل إنتاج النباتات، و بهذا صارت تحمل معنى الفلاحة على وجه العموم. في أواسط القرن السادس عشر، انزاح المدلول من هذا المعنى الحقيقي إلى معنى مجازي بدأ في التداول أثناء عصر النهضة بين ذوي النزعة الإنسانية تحديدا و هو ثقافة الفكر. أما في القرن الثامن عشر(عصر الأنوار)، فقد غدت لفظة "ثقافة" في العلوم و في الآداب و في الفنون..رمزا لثقافة الأنوار. لذا نجد مثلا (Thomas Hobbes 1588-1679)، يقصد بالثقافة العمل الموجه لتربية الفكر زمن الطفولة بوجه خاص. و عليه فالإنسان المثقف يتمتع بالذوق الرفيع و الحس المرهف و حسن السلوك.

أما في القرن التاسع عشر، فقد اكتسب مصطلح "ثقافة" مرادف له و هو مصطلح "حضارة" المفضل من قبل الفرنسيين. و في بداية سبعينيات القرن التاسع عشر(1871م)، تمكن (Edward Burnett Tylor 1832-1917) أن يصيغ تعريفا شاملا للثقافة يجمع بين التطور الفكري و التنظيمي للمجتمعات، لقي استحسانا إلى اليوم و ذلك بقوله أن الثقافة هي: "ذلك الكل المركب الذي يضم المعارف

و المعتقدات الدينية و الفن و الأخلاق و العادات و كل القدرات التي يمكن للإنسان أن يكتسبها باعتبار
عضوا في مجتمع. "ستون سنة بعد هذا، جاءت الأنثروبولوجيا الثقافية الأمريكية لتؤكد على التقدم الأداتي
و التقني و تحرص على تبليغ التراث الاجتماعي.

حسب الثقافييين (الذين يهتمون بشؤون الثقافة و يفسرون بها كثيرا من الظواهر الاجتماعية)، فإن
الثقافة باعتبارها نمط حياة لشعب ما، فهي مكتسب إنساني قار نسبيا لكنه في الوقت عينه يخضع لتحويلات
دائمة تحدد مجرى حياتنا دون أن تفرض نفسها على تفكيرنا الواعي.

أما الاستعمال الحديث لمصطلح "الثقافة"، فإنه يميل إلى نماذج و أنماط المعارف المختلفة و القيم المنتشرة
داخل مجتمع متراتب. لذا نسمع و نقرأ من ذلك مثلا: الثقافة الشعبية و ثقافة النخبة، الثقافة السياسية، ثقافة
المؤسسة الثقافية المهيمنة..

2- تعريف الثقافة:

في الاستعمال الشائع، فإن مصطلح ثقافة يشير إلى مجموعة من المعارف الضرورية للحياة في المجتمع مثل
الأدب و المعارف العلمية و الفن.. و بهذا المعنى نكون بصدد الحديث عما يسمى ب " الثقافة العاملة". أما
بالنسبة للعلوم الاجتماعية، فإنها تقارب الثقافة من منظور مخالف. ففي الأنثروبولوجيا مثلا فإن دلالة كلمة
ثقافة لا تتوضح إلا بالمقابلة بين حالة الطبيعة و حالة الثقافة (سؤال التطبيق). فكل ما هو معطى طبيعي لا
يمكن أن يدخل في دائرة العناصر المكونة للثقافة، بينما كل ما هو مكتسب إلا و يُعدُّ من مكونات عناصر
الثقافة.

فحسب (Melville Jean Herskovits (1895-1963) فإن الثقافة هي: " الوسط الذي
يعيش فيه البشر، فهي على وجه الخصوص تراكمات لنشاطات أجيال سابقة. في هذا السياق، فإن الثقافة
ظاهرة إنسانية أساسا." و على العموم فإن المتتبع لتعريفات الثقافة، فإنه سوف ينتهي إلى نتيجة واحدة و هي
النزاعات الكثيرة المتعلقة بتحديدات معاني و أبعاد هذا المصطلح. من أجل ذلك نجد مثلا كلا من:
Alfred Louis Kroeber(1876-1960) et Clyde Kluckhohn(1905-1960)
قد رصدوا أكثر من 150 تعريفا ضمن الأدبيات الأنثروبولوجية. لكن غالبا ما يتفق الباحثون و المهتمون على

تعريف E. B. Tylor المذكور أعلاه: "ذلك الكل المركب الذي يضم المعارف و المعتقدات الدينية و الفن و الأخلاق و العادات و كل القدرات التي يمكن للإنسان أن يكتسبها باعتبار عضواً في مجتمع."

سؤال تطبيق المحاضرة السابعة:

حدد الفروقات الجوهرية بين الثقافة و الطبيعة، مبينا كيف يساعدنا ذلك في تحديد معنى مصطلح الثقافة.

جامعة جيلالي ليايس سيدي بلعباس

كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية

قسم العلوم الاجتماعية

المقياس: الفرد و الثقافة. السنة الأولى علوم اجتماعية جذع مشترك. الأستاذ: سليمان سليمان.

المحاضرة الثامنة:

3- استعمال مصطلح "الثقافة" في العلوم.

أكثر العلوم التي تناولت مصطلح الثقافة بالدرس و التحليل هي الأنثروبولوجيا و علم الاجتماع. أما العلم الأول فيتناول هذه الظاهرة الإنسانية عند الشعوب البدائية (أو التقليدية)، و يعتبرها ميزة ملازمة للبشرية جمعاء، في حين يتناولها علم الاجتماع لدى المجتمعات الحديثة، حيث يفرق أصحاب الشأن بين الحداثة و التقليد عادة، بعصر الأنوار، أي التحولات الجذرية الكبرى التي مست المجتمعات الغربية في شتى المجالات الثقافية الاجتماعية في القرن الثامن عشر تحديدا و يخصص بالذكر الثورة السياسية الفرنسية إلى جانب الثورة الصناعية.

- مصطلح الثقافة في الأنثروبولوجيا:

منذ القرن التاسع عشر كان الباحثون الأنجلوسكسونيون قد أبنوا عن حاجة ماسة لامتلاك مفهوم أو مصطلح يمكنهم من تحديد معنى لحتوى التراث الاجتماعي لدى المجتمعات الموصوفة بالبدائية. كان الرهان بالنسبة لهم هو التوصل إلى مفهوم بمقدوره أن يستوعب في الآن ذاته، الانسجام من جهة و التباينات من جهة أخرى للحياة الرمزية لكل جماعة إنسانية. في هذا السياق بالذات يندرج التعريف الجامع لصاحبه تايلور الوارد أعلاه، و الذي يتناول مصطلح الثقافة على سبيل تعدادي منفتح (أي يُعَدُّ عناصر الثقافة)، مما عرضه للنقد حيث ظهرت حدود الثقافة غير واضحة تماما.

ابتداء من سنة 1920م، تخلى الأنثروبولوجيون عن المقاربة الوصفية (التعددية لعناصر الثقافة) للثقافات، و بدؤوا يتساءلون عما يمكن أن يتسبب في تماسك و وحدة عناصر تلك الثقافات: كيف نفسر التوافق السائد

بين عناصر ثقافة ما، و كيف يمنحها هذا التوافق صداها الخاص؟ فالمدرسة الأمريكية مثلا المسماة "الثقافة و الشخصية"، قد ارتكزت على مبادئ علم النفس و علم النفس التحليلي من أجل محاولة إيجاد داخل مركبات كل ثقافة عناصر المعنى ذاتها. فبالنسبة لكل من Ruth Benedict, Margaret Mead, Ralph Linton et Abram Kardiner فإن الثقافة لا تتحدد معالمها من خلال عناصر موضوعية خارجة عن التصورات و المشاعر الذاتية، و إنما تتحدد أساسا بطبيعة المواقف في مواجهة الحياة عامة، و بالسلوكيات الفعالة و النشاط الصادر عن الأعضاء الذين يتبنون تلك الثقافة.

انطلاقا من دراسات جادة، حاول هؤلاء الباحثون أن يظهروا كيف أن كل مجتمع بطريقته الواعية أو غير الواعية، يُشكل شخصية الأفراد اعتمادا على النظام التربوي (كيف ما كان مستوى بدائيته) و باقي المؤسسات الأخرى و النماذج الاجتماعية و القيم. و قد بلغ الأمر ب A. Kardiner ليقدر بأن كل ثقافة تناسبها "شخصية قاعدية" أي تُشكّل نَفْسِيَّ خاصٌ و موحدٌ يتمظهر في نمط الحياة، من خلاله و استنادا عليه يتخذ الأفراد توجهاتهم الشخصية الخاصة بكل عضو منهم. بمعنى أن الثقافة تحدد الإطار العام للمواقف و السلوكيات التي لا يُسمح بتخطيها داخل الجماعة البدائية، في الوقت الذي يُمنح الأفراد حرية اختيار توجهاتهم فيما كان أكثر خصوصية.

- مصطلح الثقافة في علم الاجتماع.

يجب التنبيه بداية، إلى أن انتقال مصطلح "ثقافة" من المجال الأنثروبولوجي إلى الميدان السوسولوجي في أمريكا قد حدث بسلاسة واضحة، بينما في فرنسا قد سُجل تردد بَيِّن. فلقد ظل مثلا، كل من إميل دوركايم و مارسيل موس يصران على استعمال كلمة حضارة عوض ثقافة (culture ≠ civilisation)، عندما يكونون بصدد الحديث عن الأنماط الحياتية الاجتماعية السائدة. إن الإثنولوجيين (سؤال التطبيق) في جيلهم الثاني الممتد طيلة ثلاثينيات القرن العشرين، هم من سوف يتبنى و يفرض مصطلح "ثقافة" في التعبيرات العلمية.

في المجتمعات الحديثة، و بعد أن لاحظ علماء الاجتماع على وجه الخصوص، ظواهر مثل انقسام المجتمع إلى طبقات و تراتبية أعضاء المجتمعات الصناعية بحسب أوضاعهم الاقتصادية.. استخلصوا بأن مصطلح "ثقافة" لا يمكن أن تكون له الدلالة المعنوية ذاتها عند الجميع. و يؤكد هؤلاء في السياق ذاته، بأننا في واقع الأمر نعيش في مجتمعات متعددة الأنماط الثقافية أين تنتشر و تتواجد و تتصارع وجهات نظر متعددة للعالم، يُستبعد أن تتوافق. و عليه ففي تفاعلات المجتمعات الحديثة موضوع علم الاجتماع أساسا، فإن الرهان ليس هو محاولة الإحاطة

و فهم الوحدة الثقافية كما تفعل الأنثروبولوجيا، و إنما فهم التعددية في ظل التعايش. فكأنما الاختلاف في المجتمعات الحديثة هو من يصنع الوحدة الاجتماعية، في حين المجتمعات التقليدية تتوحد بسبب التشابه بين أعضائها.

تطبيق المحاضرة الثامنة:

ما الفرق بين الأنثروبولوجيا و الاثنولوجيا؟

جامعة جيلالي ليايس سيدي بلعباس

كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية

قسم العلوم الاجتماعية

المقياس: الفرد و الثقافة. السنة الأولى علوم اجتماعية جذع مشترك. الأستاذ: سليمان سليمان.

المحاضرة التاسعة و العاشرة (ملخص):

4- الأنثروبولوجيا و الثقافة ونزعة المركزية الثقافية.

لقد ظهر التصور الأنثروبولوجي لمفهوم الثقافة مع بداية القرن العشرين، من أجل أن يواجه منطلقا إيديولوجيا أكثر منه علميا و الذي يتلخص في المصطلح العنصري: "المركزية الثقافية " l'Ethnocentrisme المتداول فترة طويلة من الزمن و المصاغ سنة 1906 من قِبَلِ William Graham Sumner (1840-1910). تعتبر النزعة المركزية الثقافية حسب "سومر": " نظرة إلى الأشياء تقتضي أن تكون جماعتنا مركز كل شيء، بحيث أن كل الجماعات الأخرى تكون مُقَوِّمَةً (Evaluée) و مقدرة بحسبها (...). كل جماعة تغذي كبرياءها و غرورها و تتباهى بكونها هي الأعلى، و ترفع آلهتها الخاصة بها و تحتقر الأجانب عنها". بل إن هذه النزعة ظلت ترفض الاعتراف بوجود أي ثقافة أخرى غير ثقافتها ما دامت تلك الشعوب لا تعتنق ثقافة أصحاب تلك النزعة العنصرية، وعليه كان يُصنَّف في وقت ما، المتحضرون(المثقفون) في مقابل البرابرة الذين لا ينتمون للثقافة المركزية.

إن السلوكيات الناتجة عن عقدة المركزية الثقافية ما زالت منتشرة جدا بمستويات متباينة في عموم المجتمعات الإنسانية. في هذا الصدد يقول: Claude Lévi-Strauss، بشأن هذه النزعة بأنها: " السلوك الأكثر قِدَمًا، و التي تتأسس - دون شك - على قواعد نفسية صلبة باعتبار أنها تعود دائما للظهور لدينا عندما نكون في وضعيات غير متوقعة، حيث تقضي برفض كل الأشكال الثقافية: الأخلاقية و الدينية و الاجتماعية و الجمالية التي تكون أبعد ما يكون عن تلك التي تحدد هويتنا [نحن]".

من أجل ذلك، فإن أغلبية الشعوب البدائية ترى بأن الإنسانية تنتهي على تخوم حدودها الجغرافية أو عندما تتبدل لغتها القومية. في السياق نفسه، يمكننا العثور على هذه الظاهرة عند الشعوب الموصوفة بالتاريخية (الحضارات الكبرى) بحث ظلت تجد صعوبة في استيعاب الإنسانية في عموم تبايناتها الثقافية. و هكذا، فإن الحضارتين الإغريقية و الرومانية كانتا تَصِمَانِ بالبربرية كل من لا ينتمي لثقافتهما.

5- موقف الأنثروبولوجيين من نزعة المركزية الثقافية.

لقد اتسم موقف الأنثروبولوجيين من المركزية الثقافية بالرفض التام و الحاسم، و قد أدى ذلك بهم إلى تبني سلوك ابستيمولوجي جذري. و لقد تنبهوا إلى أن الباحث في التراث الإنساني، و باعتباره نتاج ثقافة ما، فإنه يكون دائما مهتدا في مسيرته العلمية بأن يحكم "بالعادي" على كل ما يوافق ثقافته سواء عن وعي أو عن غير وعي، ليدخل في متاهات الخطاب المعياري الباحث عما يجب أن يكون بدلا من البحث عما هو كائن، و بذلك يكون قد خرج تماما عن ضوابط العمل العلمي المحكوم بمنهجية صارمة.

فقد يحدث أن يتناول الأنثروبولوجي الغربي موضوعا يتناول مثلا المؤسسة العائلية في المجتمعات البدائية أو المتخلفة، فإنه في حالة كهذه يمكن أن يُحَاكِم هذه المؤسسة العائلية وفق الاعتبارات الثقافية للمؤسسات الأسرية الغربية، وهنا ندخل في إشكالية: هل الثقافة نسبية عند جميع الأمم أم أنه يوجد نمط ما يكن التحاكم إليه و يكون هذا التحاكم معتبرا علميا و منهجيا؟ في هذا السياق، يقترح François Laplantine ما يسميه " ثورة النظر " : و هي أن يتمكن الباحث من التحرر من المركز الثقافي الذي نشأ فيه، و أن تتلاشى لديه فكرة " وجود مركز للعالم " مما يسمح له بتوسع مداركه و تحولات في ذات نفسه.

تطبيق المحاضرتين التاسعة و العاشرة:

عند دراسة الثقافة تُثار عادة إشكاليات تتعلق بالثقافية مقابل النزعة النسبية الثقافية. بين في بحث مختصر ما المقصود بالنسبية الثقافية.

جامعة جيلالي ليايس سيدي بلعباس

كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية

قسم العلوم الاجتماعية

المقياس: الفرد و الثقافة. السنة الأولى علوم اجتماعية جذع مشترك. الأستاذ: سليمان سليمان.

المحاضرة الحادية عشر:

6- النظريات المفسرة لظاهرة الثقافة:

عززي الطالب، من الآن فصاعدا يتحتم عليك أن تكون ملما و مطلعاً، بل محيطاً و متمكناً من المقصود بالنظرية و من دورها الحاسم في تَكْوُن و تراكم العلوم و اكتساب المصداقية اللازمة. و لا سبيل إلى بلوغ ذلك الهدف إلا بالمطالعة المستمرة و الواسعة و بأكثر من لغة، ثم بالسؤال و المناقشة. لكن على العموم يكفينا القول أن النظرية هي مجموعة من الفرضيات المُثَبَّتة و المترابطة في ما بينها ترابطاً منطقياً يسمح ببلوغ استنتاجات محددة استنباطاً. ببساطة أكثر، فالنظرية في العادة، إنما هي جملة من التفسيرات الجزئية لإشكالية ما تساعد الباحثين في مجالات متقاربة معها للاستلهام منها. إن البحث العلمي الجاد لا يمكنه، في العادة، الاستغناء عن الاهتداء بنظرية من النظريات المناسبة، فهذه الأخيرة إنما هي بمثابة البوصلة التي تهتدي بها السفن الضالة في أعالي البحار لمعرفة الوجهة الصحيحة نحو بر النجاة. فما هي النظريات التي حاولت تفسير الثقافة عند الأنثروبولوجيين تحديداً؟

- النظرية الانتشارية:

إن التيار الانتشاري قد ظهر في بداية القرن العشرين على أيدي رواده- Graebner(1877) Fritz Robert (1934), Wilhelm Schmidt(1868-1954) تأسيساً على النقد الموجه للنظرية التطورية، التي ترى بأن كل ثقافة لا تكون إلا نتاج تاريخها و الذي أدى بها إلى ذلك التطور الخاص . حيث يرى هذان الباحثان أن جميع الثقافات المختلفة كان لها عدد محدد من البؤر الثقافية. فالنظرية الانتشارية

تَعْتَبِرُ بأن ظاهرة الثقافة هي نتيجة لسلسلة من الاقتباسات المباشرة أو غير المباشرة، التي تحصل بين شعوب ما بسبب الاحتكاكات كالتجارة أو الحرب أو الهجرة... وهو ما يُسمى بمصطلح **التشافف** (سؤال التطبيق).

لقد عرفت نظرية الانتشارية في بريطانيا صيغة متجذرة (متطرفة) خاصة مع أطروحات كل من: G.E. (1887-1950) et W.J.perry (1871-1937) Smith، التي ترى بأن كل الثقافات و الحضارات تكون قد عرفت ميلادها في مصر الفرعونية القديمة ، و يسمى هذا التوجه النظري: النظرية الانتشارية الفائقة. Hyperdiffusionnisme.

- النظرية الوظيفية:

إن النظرية الوظيفية قد نشأت في بريطانيا بسبب الأعمال التي قدمها كل من: B. Malinowski(1884-1942)et A.R. Radcliffe- Brown(1881-1955) ، بحيث يريان بأن كل ثقافة إنما هي نسق متناغم من العناصر و المترابطة فيما بينها، مما يجعل إمكانية تحليل كل عنصر على حدة، من المستحيلات المنهجية. ففي كتابه " نظرية علمية للثقافة "، فإن **مالينوفسكي** قد درس كل ظاهرة اجتماعية(ثقافية) بإعادتها إلى سياقها و حاضنتها المؤسساتية مركزا على الوظائف المتعلقة بتلك المؤسسات.

فالبحث و الدراسة حسب هذا التوجه يجب أن يراعي مختلف المؤسسات الاقتصادية و السياسية و القانونية..و علاقاتها مع النظام الثقافي الكلي. كما يهتم هذا التوجه النظري بالأساس بالوظائف الخاصة الموكلة لكل مؤسسة اجتماعية ثقافية، بحيث لا تستحق أي مؤسسة وجودها إلا إذا كانت تقوم بهذه الوظيفة.

سؤال تطبيق المحاضرة الحادية عشر:

ما المقصود بمفهوم التشافف؟